(قيم إنسانية – التعاون)

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 161-163].

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» وفي رواية البزار: «مَكَارِمِ الأخلاق».

الإنسان كائن اجتماعي، جمعي بفطرته، يسعى للتواصل مع الآخرين والتفاعل معهم، يحب الناس ويأنس بهم، ويرضيه التعاونُ وتكوينُ مجتمعات، ويسعده صلةُ الرحم وإغاثة الملهوف، يألم لألم الآخرين ويفرح لفرحهم، وهذا جزء من فطرته التي فطر الله الناس عليها. وجاءت شريعة الله لتعزز هذه الفطرة وتأمرَ بكل ما يقويها من بر وصلة وتعاون وتكافل، وتنهى عن كل ما يقطع أواصرها من فرقة وأثرة وتقاطع وتدابر.

وراح الشيطان يوغر الصدور بالعداوات والنفوس بالتفرقة والاهواءَ بالشح والأثرة.

وبين لمة الملك ولمة الشيطان يعيش الإنسان، فالسعيد من لزم التعاون والبر والصلة والتكافل تقرباً إلى الله تعالى، والشقي من تناحر وتدابر وتقاطع وآثر نفسه وقطع الجماعة. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: 106 – 108].

التعاون تفاعل بمعنى أن يعين المرء أخاه ويستعين بأخيه، فيعين القوي الضعيف والضعيف القوي، ويعين الغني الفقير والفقير الغني، ويعين العالم الجاهل والجاهل العالم، ويعين القادر العاجز والعاجز القادر. وتعين الجماعة الفرد ويعين الفرد الجماعة وبهذا تبنى الأعمال والأوطان والأمجاد.

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصَّف:4].

(المجتمع المسلم كالبنيان المرصوص، بنيانٌ تتعاون لبناتُه وتتضامن وتتماسك وتؤدي كلُّ لبنةٍ دورها وتَسُدُّ ثغرتَها، لأنَّ البنيان كلَّه يضعف إذا تخلَّت لبنةٌ عن مكانها تقدَّمت أو تأخرت. والبنيان كله يضعف إذا تخلَّت لبنة عن أن تمسك بأختها تحتها أو فوقها أو على جانبيها).

في أيام الثورة المباركة جرت حوادث راقية في الشام في التعاون بين الناس زرعت في النفوس الأمل وفي الأيام التفاؤل. ونحن في هذه الأيام أيام بناء الدولة أحوج ما نكون لتعاوننا على الخير والبر.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»، وقال رسول الله ﷺ: «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»، وقال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

والحمد لله رب العالمين